

ملائح الشخصية السوية

يشمل النمو النفسى تلك المراحل التى يمر بها الفرد فى سنى حياته المختلفة ، وتنمو فيها انفعالاته ورغباته واستعداداته ، وتستكمل خلالها شخصيته ، ويتم هذا فى اطار صحته النفسية بوجه عام . وتبدو مظاهر النمو النفسى فى النواحي الآتية :

- ١ - التكيف .
 - ٢ - اشباع الحاجات الأساسية .
 - ٣ - تحقيق الشخصية السوية .
- وسناقش كل عنصر من هذه العناصر باختصار (١) .

أولا - التكيف :

ليس هذا مجال مناقشة التكيف باسهاب ، حيث سنتناوله باسهاب فيما بعد . فالتكيف عملية ديناميكية مستمرة يستهدف بها الشخص تعديل سلوكه ليحدث علاقة أكثر توافقا مع بيئته . ويمكن القول بأن التكيف هو القدرة على ايجاد العلاقات المشبعة بين الفرد وبيئته ، سواء أكانت هذه البيئة طبيعية أو ثقافية أو اجتماعية . وهناك عوامل أساسية لها أكبر الأثر فى احداث التكيف لدى الأفراد ، ومن أهمها :

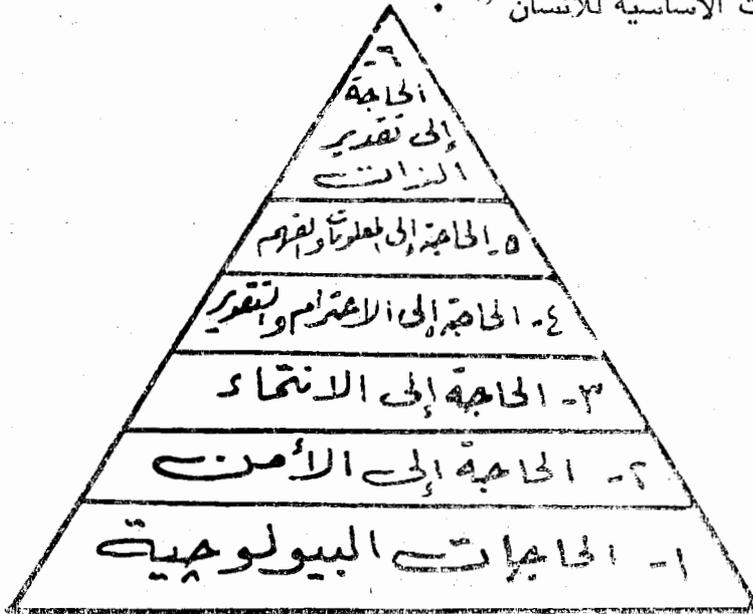
- ١ - توافر المهارات اللازمة لدى الفرد لأشباع حاجاته الأساسية .
- ٢ - أن يعرف الانسان نفسه ، ويتضمن هذا : أن يعرف الحدود والامكانيات التى يستطيع بها أن يشبع حاجاته ، وأن يدرك قدراته واستعداداته ومهاراته .
- ٣ - أن يتقبل الانسان ذاته بواقعية .
- ٤ - المرونة والتوافق بالنسبة للمؤثرات المختلفة .
- ٥ - المسألة وتجنب الصراع .

(١) سيد عبد الحميد مرسى : الارشاد النفسى والتوجيه التربوى والمهنى . القاهرة : الخانجى ، ١٩٧٦ ، ص ١٢ - ١٥ .

ثانياً - اشباع الحاجات الأساسية :

لكي ندرك أهمية الدور الذي يقوم به العمل في حياة الفرد يجب أن ندرك أولاً الحاجات الأساسية للفرد . فلقد اتضح خطأ الفكرة القديمة القائلة بأن الانسان يعمل لمجرد الحصول على القوت ، ويكفي للتدليل على خطأ هذه الفكرة أن نذكر أنه كان من الواجب - تصديقا لهذا الرأي - أن يقف العمل وينتهي بمجرد حصول الفرد على ما يسد رمقه ، ولكن الانسان لم يقيم ببناء حضارته بهذه الوسيلة البسيطة التي تستهدف مجرد الحصول على القوت . ولقد أثبتت دراسات الروح المعنوية في الصناعة أن العمل ينطوي على أشياء كثيرة بالنسبة للفرد بخلاف الحصول على أجر .

ومن وجهة النظر المهنية ، فقد نظمت الحاجات الأساسية بطريقة هرمية بالنسبة لقوة هذه الحاجات وفعاليتها . ويلاحظ أن كل حاجة من الحاجات الأساسية لا تعلن عن وجودها الا اذا اشبعت الحاجة التي تسبقها في الترتيب الهرمي . ويوضح الشكل رقم (١) الترتيب الهرمي للحاجات الأساسية للانسان^(١) .



شكل (١) الحاجات الأساسية للانسان

Maslow, A., Motivation and Personality. New York : Harper, 1954, 12. (٢)

ثالثا - تحقيق الشخصية السوية :

ان ما يميز الشخصية السوية عن الشخصية المضطربة أو المنحرفة ليس هو شكل السلوك أو الأفعال نفسها التي تصدر عن الفرد وانما وظيفة هذا السلوك أو ما يحققه من أغراض وأهداف . فالسلوك السوى هو الذى يحقق مواجهة واقعية للمشكلات أو الصراع وليس هروبا منها . وبمعنى آخر فان الشخصية السوية المتكاملة هي التي يتميز سلوكها بأنه واقعى وبناء وليس سلوكا هروبيا هداما . واذا سلمنا بأن التكامل هو أدل الشيء لوظيفته وأن هذه الوظيفة تحددها طبيعة الشيء الذى يؤديه ، كان معنى ذلك أن السلوك يعتبر سويا أو متكاملا أو متكيفا بمقدار ما يعكسه هذا السلوك من خصائص الانسان ومميزاته الطبيعية التي يمتاز بها عن غيره من أعضاء المملكة الحيوانية .

ويشترك الانسان مع الحيوان فى كثير من الصفات ، الا أن تكامله لا يقوم على تنمية هذه الصفات التي يشترك فيها مع باقى أعضاء المملكة الحيوانية ، بل على تحقيقه للامكانيات التي ينفرد بها والتي تميزه عن سائر الحيوانات . وأولى تلك الامكانيات هي قدرة الانسان على الكلام . فالانسان يستطيع أن يستخدم اللغة ليتذكر، أو ليسترجع الحوادث والأحداث الماضية ، وليعالج الأشياء الملموسة وغير الملموسة ، وليسقط خبرته الماضية على المستقبل ، وبمعنى آخر يستطيع أن يعالج الأمور والأشياء على مستوى تخيلى . وهذه القدرة الرمزية هي التي تجعل الانسان يفكر فى الماضى وفى الحاضر والمستقبل غير المحسى ، وتساعد قدرته اللغوية على أن يتعلم من خبراته ومن خبرات الآخرين الذين سبقوه مع اختلاف الزمان والمكان ، كما تساعد على أن يتنبأ بما يمكن أن يترتب على سلوكه الخاص قبل أن يسلك وأن يكون له مثل عليا وقيم يسلك على أساسها . هنالك اذن صفات ثلاث أساسية تعتمد على استخدام الرموز اللغوية وتميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية ، وهذه الصفات هي : القدرة على الاستفادة من الخبرة السابقة ، والتحكم فى السلوك بناء على التنبؤ بنتائجه قبل (٦ - الشخصية السوية)

وقوعها ، وأخيرا القدرة على استحضار ما ليس له وجود فى الواقع
الموس .

وهناك مجموعة أخرى من الصفات المميزة للانسان ، وهى تلك
التي تتعلق بفترة طفولته الطويلة ، تلك الفترة التي يظل فيها مدة من
الزمان معتمدا على غيره من الكبار بحيث لا يستطيع أن يشبع حاجاته
الأساسية الا عن طريق الكبار المحيطين به . ويتكون عند الطفل خلال
هذه المرحلة الطويلة اتجاهان مهمان : الاتجاه الأول هو أن استمرار بقائه
واشباعه لحاجاته الأساسية لا يمكن أن يتحقق الا عن طريق اعتماده
على غيره ، والاتجاه الثانى هو أن الانتقال الى مرحلة الرشد والتمتع
بحقوق الكبار واتخاذ مكانتهم يرتبط باستمرار بتحمل المسئولة والعمل
على اشباع حاجات الآخرين . والنقطة الهامة هنا هى أنه مهما يكن
نوع المجتمعات التي يعيش فيها الأفراد فانهم لا بد أن يعتمدوا بعضهم
على البعض الآخر ، سواء أكان ذلك على مستوى علاقة الآباء بالأبناء
أو على مستوى العلاقات الاجتماعية . وهذا النمط المميز للحياة
الانسانية هو الذى يضى عليها الصفة الاجتماعية ، تلك الصفة التي
يتميز بها الانسان عن سائر أعضاء المملكة الحيوانية .

هذه هى الامكانيات التي يتميز بها الانسان عن غيره من الحيوانات
وعلى أساس هذا التحديد للامكانيات الانسانية يمكن أن نقدم مفهوما
واضحا للشخصية السوية ، وأن ندرك معنى السلوك السوى الايجابى
المتكامل بطريقة مفيدة ومثمرة . فاننا نستطيع أن نستنبط من هذه
الخصائص التي تتميز بها الطبيعة الانسانية صفات معينة ، لو تحققت
فى أحد الأشخاص أو أمكن غرسها فيه بطريقة ما ، اكان هذا الشخص
هو ما نعنيه عندما نتحدث عن الشخص السوى ، ولكان سلوكه هو
ما نقصده عندما نتكلم عن السلوك المتكامل .

● المميزات السلوكية للشخصية السوية :

تتميز الشخصية السوية بالمميزات السلوكية الآتية (٣) :

(٣) محمد عماد الدين اسماعيل : الشخصية والعلاج النفسى . القاهرة

مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٣٢ — ١٤٩ .

١ - القدرة على التحكم في الذات :

من الواضح أنه كلما نمت عند الفرد القدرة على التفكير الرمزي الموضوعى - التى على أساسها يستطيع أن يتنبأ بنتائج الأشياء قبل حدوثها - ازدادت بالتالى قدرته على التحكم فى سلوكه عن طريق توقع النتائج التى يمكن أن تترتب عليه فى المدى البعيد .

٢ - تحمل المسؤولية وتقديرها :

يستمد الشخص السوى قدرته على الضبط والتحكم فى سلوكه من تقديره الشخصى للأمور تقديرا مبنيا على موازنة النتائج وتمحيصها . وكلما زادت القدرة على الضبط الذاتى كلما قلت الحاجة الى الضبط الصادر من سلطة أخرى خارجية . والشخص السوى هو الذى يعتبر نفسه مسئولا عن أعماله ويتحمل هذه المسؤولية عن طيب خاطر .

٣ - التعاون :

ان اعتماد الناس بعضهم على البعض الآخر وخاصة فى المجتمع المعاصر هو جزء أساسى من حياتهم الاجتماعية . وعلى هذا الأساس يصبح الشخص السوى هو الذى يستطيع أن يحقق هذه الطبيعة الاجتماعية ، وهو الذى يعتمد عليه الآخرون ، كما أنه يقر فى الوقت نفسه بحاجته الى الآخرين .

٤ - القدرة على الثقة المتبادلة :

ان اعتراف الشخص بحاجته الى الآخرين يتضمن أيضا القدرة على تكوين علاقات شخصية وثيقة بهم ، أى علاقات مبنية على الثقة المتبادلة . وهذه الصفة الهامة للشخصية السوية هى التى يمكن أن نعبر عنها بالقدرة على المحبة والود . فالشخص السوى هو الذى يستطيع أن يقيم علاقات مع الآخرين أساسها المحبة والود والتفاهم والاحترام والثقة المتبادلة .

٥ - الانسانية :

الشخص السوى هو الذى يستطيع أن يبذل وأن يمنح كما

يستطيع أن يأخذ ، سواء أكان ذلك مع أسرته أو أصدقائه أو زملائه أو رؤوسيه ، وسواء أكان ذلك فى جماعات يعرفها وينتمى إليها أو مع جماعات أخرى ، مع جماعات يتفق معها فى الرأى والعقيدن أو مع جماعات يختلف معها فى الاتجاهات والأفكار • فالانسان مهما كانت حاله فانه مدين للانسانية بوجوده وقدرته على الكلام والحركة والتمتع بنتائج العقول والأفكار التى سبقته وأثرت على نوع الثقافة التى يعيش فيها • ان الانسان مدين بكل هذا الى الانسانية جمعاء ، التى لولاها ما كانت حضارته بجميع مظاهرها • ومن شأن هذا كله أن يجعل على الانسان واجبا لابد أن يؤديه للمجتمع الانسانى الكبير الى جانب مجتمعه الصغير • ولهذا كان من الطبيعى أن نتصور الشخصية السوية المتكاملة بأنها تلك التى تسهم فى خدمة الانسانية جمعاء ، وأن تفعل ذلك فى حدود امكانياتها •

٦ - الديمقراطية :

ان الشخص السوى هو الذى يعمل للانسانية جمعاء ، كذلك فان الشخص السوى هو الديمقراطى • ففكرة الديمقراطية — كفكرة الانسانية — ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الشخصية السوية • فالديمقراطية ليست سوى العناية بالآخرين والاهتمام بهم ووضع قيمة الانسان فوق قيمة الأتساء ، والسعى الى ايجاد علاقات مثمرة مع أى قوم من الناس والعمل على خلق التفاهم وتبادل الرأى والمشورة والمساعدات بينهم • وان البعد عن هذه الأهداف معناه — فى الواقع — الخوف من الناس والحد من امكانية انشاء الصداقات ، كما يعنى أيضا امكانية السيطرة على الآخرين ، وبذلك تتعرض القيم الانسانية للخطر فتتعدم الثقة بين الناس وينعدم التعاون •

٧ - مستوى الطموح :

الشخص السوى هو الذى يضع نصب عينيه مثلا ومستويات يسعى للوصول إليها ، حتى لو كانت فى بعض الأحيان بعيدة المنال • فالتوافق المتكامل ليس معناه تحقيق الكمال ، بل معناه الجهاد والعمل

انستمر طبقا لخير ما يمكن أن يتصوره الفرد من مبادئ • ولكي يتحقق هذا يجب أن تكون الأهداف واقعية وفى اطار امكانيات الفرد ، حتى لا يتعرض للشعور بالاحباط والافئاضل •

ان هذا النموذج الذى رسمناه للشخصية السوية — باعتبار أنها الشخصية التى تتميز بالقدرء على ضبط الذات وتوجيهها وتحمل المسئولية الذاتية والمسئولية الاجتماعية واعتناق المبادئ الانسانية والقيم الاجتماعية الديمقراطية — لا يتضمن تصور الشخصية السوية فى سعادة دائمة ، أو أنها الشخصية الخالية من الصراع ، أو الشخصية التى تعيش دون مشاكل • فالشخص السوى قد يعجز أحيانا عن تحقيق أهدافه ، وقد يدفعه جهله بالعالم المعقد الذى يعيش فيه والضغوط التى يواجهها الى اتخاذ أسلوب غير ملائم من السلوك ، كما لا تخلو تماما من الخوف أو القلق أو الصراع • فمفهوم الشخص السوى اذن لا يتضمن الخلو التام من الخوف أو القلق أو الصراع ، بل ان الذى يميز السوى عن غيره هو طريقة مواجهة الصراع والمخاوف والقلق وایس الخلو منها • والشخص السوى هو الذى يتعلم أن يواجه صراعه واخفاقه بالحكمة بدلا من الشعور بالعداوة الشديدة أو الخوف أو الانطواء ، وهو الشخص الذى يتمتع بدرجة عالية من احترام الذات ومن اجتذاب الآخرين نحوه وحصوله على حبههم وتقديرهم اياه • وأخيرا فان التوافق المتكامل الذى يميز سلوك الشخص السوى لا يعنى أن يسلك الشخص طبقا لمواصفات جامدة يتعين عليه اتباعها كما هى دون تصرف • فسلوك الأفراد متنوع ومتعدد الى حد كبير ، ويتطلب كل ظرف تصرفا مناسباً كما يتطلب كل زمان ومكان مايلائمه من السلوك • ويعتبر الشخص سويا فى تصرفاته وفى سلوكه بالدرجة التى يحقق بها سلوكه الامكانيات التى يتميز بها الانسان عن غيره من الكائنات ألا وهى الامكانيات الرمزية والامكانيات الاجتماعية •

وهناك العديد من الآراء التى حددت معالم الشخصية السوية

وخصائصها ••

١- فقد حاول « روجرز » ^(٤) مؤسس مدرسة « الإرشاد النفسى المتركز حول العميل » أن يوضح الخصائص العامة للشخصية السوية والتي تتلخص فيما يأتى :

(أ) أن يكون الشخص متفتحا ومتقبلا لخبرته مهما كان نوعها ، بمعنى ألا ينكر الفرد أو يشوه أى ادراك حسى أو انطباعات من أجل تجنب خبرة مهددة لتكوين ذاته ، بل انه يسعى الى ادراك خبراته الداخلية مهما كانت غير سارة .

(ب) أن يعيش الانسان بقناعة ذاتية بأن كل لحظة من الخبرة تعنى شيئا جديدا . وهذا يعنى أن لدى الشخص شعورا داخليا بأن يتحرك وينمو ويأمنه لا توجد لديه تصورات مسبقة عما سيكون عليه أخيرا كشخص .

(ج) أن يجد الشخص فى تركيبه وسيلة موثوقا بها للوصول الى السلوك الأكثر اشباعا فى مواقف الحياة الواقعية . وأنه يفعل مايشعر بأنه الصواب من وجهة نظره ومن تكوين ذاته المعتمد على خبراته . وهذه الخصائص والصفات تجريبية ، وليست صورا من قبيل التمنى . وقد وصل « روجرز » الى هذه الخصائص من واقع خبرته وتجاربه الاثينيكية فقد لاحظ أشخاصا غير سعداء ويشعرون بالتعاسة فى حياتهم ، وعندما استخدم معهم وسائل الإرشاد النفسى غير المباشر لاحظ التغير الذى طرأ على شخصياتهم عندما تصبح الظروف طيبة ^(٥) .

٢ - يرى « سوليفان » ^(٦) بأن الدراسة المصيبة للطب النفسى ليست دراسة الشخص كما هو ، بل من حيث علاقته مع الآخرين . ويرى « سوليفان » أن الشخص يعبر عن الشخصية السوية الى المدى الذى يصبح فيه واعيا بعلاقاته الشخصية المتبادلة . ويعنى ذلك أن

Rogers, G., *Counseling and Psychotherapy*. Boston, (٤)
Mass : Houghton - Mifflin, 1942, 11 .

Rogers, G. ; *Ibid*, 1 . (٥)

Sullivan, H. ; *The Interpersonal Theory of Psychiatry*. New York : Norton. 1953, p.p. 110 - 111 . (٦)

الشخص يحقق الشخصية السوية اذا كانت معتقداته عن نفسه وعن الآخرين دقيقة • وعن طريق المعتقدات والمعلومات الدقيقة يستطيع الشخص أن يحصل على اشباع وأمن دائمين يراها « سوليفان » كفايات أو أهدافا رئيسية للسلوك • ويرمز الاشباع - فى رأى سوليفان - إلى اشباع الحاجات البيولوجية ، ويرمز الأمن إلى الحصول على استجابات من الآخرين حاملة لمعانى المحبة والمخانة والتقدير منهم للشخص •

٣ - ويرى « ايريك فروم » ^(٧) أن الشخصية السوية تتحقق انى المدى الذى يظهر فيه الشخص اتجاها منتجا • والاتجاه المنتج هو طريقة الفرد لاشباع حاجاته بطريقة أفضل ، بمعنى أن الانتاجية عبارة عن انتاج الأشياء والظروف الضرورية للنمو والسعادة • وصاحب الشخصية المنتجة قادر على استخدام مهاراته ومعلوماته بما يؤدي إلى انتاج كل ما هو ضرورى لجعله سعيدا متمتعا بصحة نفسية سليمة •

٤ - وأوضحت « كارين هورنى » ^(٨) أن علاقة الشخص بذاته الحقيقية هي أساس الشخصية السوية والصحة النفسية السليمة • والشخص المنفصل عن ذاته غير سوى • والشخص الذى يعرف ذاته ويحس بمشاعره وارادته ويقر بمسئوليته تجاه تصرفاته يعبر عن شخصية سوية •

٥ - واعتبر « أدلر » ^(٩) أن « الشعور الاجتماعى » مؤشر للشخصية السوية • ويرمز الشعور الاجتماعى إلى الشعور بالثوحد مع كل البشر • وصاحب الشخصية غير السوية - بالنسبة الأدلر - هو الذى يكرس كل طاقاته للحصول على القوة ليخلص نفسه عن مشاعر

Fromm, E.; *Man for Himself*. New York : Holt, (٧)
1947, p.p. 82 - 106 .

Horney, K. ; *Neurosis and Human Growth*. New (٨)
York : Norton, 1950, 1

Adler, A.; *Understanding Human Nature*. New York : (٩)
Greenberg, 1929, P.P. 30 - 32 .

النقص ، ويدفع هذا التعويض الشخص إلى التنافس مع الآخرين بدلا من سعيه للحصول على تعاونهم معه ومحبتهم اياه .

٦ - واعتبر « مازلو »^(١٠) أن « الشخص المحقق لذاته » يتميز بشخصية سوية . ويرمز تحقيق الذات الى عملية تحقيق القوى الكامنة الفطرية في الشخص . وفي رأيه أن الشخص لا يستطيع تحقيق ذاته حتى يكون لديه رصيد من اشباع حاجاته الأساسية . واذأ ما تحققت أو أشبعت هذه الحاجات تماما فإنه يستطيع أن يوجه طاقاته لمهمة تحقيق الذات - كالانتاج العلمي ، أو العمل الفني ، أو العمل التنظيمي . وحدد « مازلو » مجموعة من الخصائص يتصف بها الشخص المحقق لذاته تتلخص في : ادراك الواقع والتوافق معه ، وتقبله لذاته وللآخرين ، والتلقائية ، والاحساس برسالته في الحياة ، والاستقلال الذاتي ، والشعور بالانتماء والتوحد مع بني الانسان ، والعلاقات الشخصية العميقة المتبادلة ، والتميز بين الوسائل والغايات ، والخلق والابداع ، والحاجة الى العزلة والخوة الذاتية .

٧ - لفت « رانك »^(١١) الأنظار الى « الخلق والابداع » كأساس للسلوك السوي . والشخص الذي يظهر روحا خلاقة هو الذي يتقبل ارادته وفرديته ويؤكدها ، كما أنه لا يخاف التجديد خشية الاختلاف مع الآخرين .

وفي ختام هذه المناقشة عن خصائص الشخصية السوية ، يبدو من المعقول ابراز النقاط الآتية :

أولا - يمكن تحليل السلوك الى نتائج مترتبة على اشباع الحاجة . وما دامت الحاجات تشير الى تقدير ما هو فعال لتحقيق غايات متعددة لها قيمة ، فإنه يمكن تحديد الحاجات الأساسية للانسان في الآتى : الحاجات البيولوجية ، والحاجة الى الأمن ، والحاجة الى الانتماء ، والحاجة الى الاعتراف والتقدير ، والحاجة الى تحقيق الذات .

Maslow. A.; **Motivation and Personality**. New York : (١٠.)

Harper, 1954, 12

Rank, O. ; **Will Therapy and Truth and Reality**. (١١)

New York : Knopf, 1945, P.P. 111 - 112

ثانياً - يعتبر الاتصال بالواقع من مؤشرات الشخصية السوية ويتصل الشخص بالواقع عندما يكون ادراكه الحسى ومعتقداته صحيحين واننا نحصل على معتقداتنا عن العالم الذى نعيش فيه عن طريق الادراك الحسى ومن الحدس والذاكرة والخيال . وهذه المصادر عرضة للخطأ كما أن المعتقدات المستمدة منها قد تكون غير صحيحة الا اذا تعرضت لاختبار واقعى . وهذا يعنى مقارنة هذه المعتقدات بالدليل الملموس ودراسة مدى اتفاقها مع معتقدات أخرى راسخة .

ثالثاً - يحتاج الفرد الى الآخرين لمعاونته فى حل المشكلات التى تعترضه . . فهو يحتاج الى الآخرين ليتصرفوا بطرق تشبع حاجاته التى لا يستطيع أن يشبعها بسلوكه الخاص المستقل . وهو يحتاج الى الآخرين ليسلكوا نحوه بطرق تدعم تقديره لذاته وتجعله يشعر بالأمن أى التحرر من أى خوف أو خطر بالحرمان أو العدوان أو من الأخطار المترتبة على نبذه ورفضه وعدم تقبله من الآخرين . ويستخدم مصطلح السلوك الشخصى المتبادل للتعبير عن سلوك شخص فى علاقته بشخص آخر ، وهو سلوك صحى تلقائى متغير مرن ، ويعبر عن الذات الحقيقية للفرد .

رابعاً : للعلاقات الشخصية السوية المتبادلة مميزات أساسية

هى :

- ١ - أن لدى كل طرف مفهوم دقيق عن شخصية الطرف الآخر .
- ٢ - يميل كل طرف الى مميزات الآخر ويتقبلها .
- ٣ - يشعر كل طرف باهتمام نحو الآخر وسعادته .
- ٤ - يتصل كل طرف اتصالاً كاملاً بالآخر .
- ٥ - يفرض كل طرف مطالب وتوقعات معقولة على الآخر .
- ٦ - يحترم كل طرف حق الآخر فى تقرير شئونه .

خامساً : تعتبر ذات الفرد محددًا هامًا لسلوكه . ويمدنا تكوين الذات بحدود معينة لسلوكنا الصريح ولخبرتنا الذاتية . وبصفة عامة يسعى الشخص الى التصرف بطرق تتفق مع بناء ذاته ، ويقيد أفكاره

ومشاعره ورغباته فى حدودها • ويتكون مفهوم الذات من كل المعتقدات التى يحملها الشخص عن نفسه ، مثل القرارات المتعلقة بأنماط استجاباته لمواقف الحياة المختلفة •

* * *

الصحة النفسية والتكيف

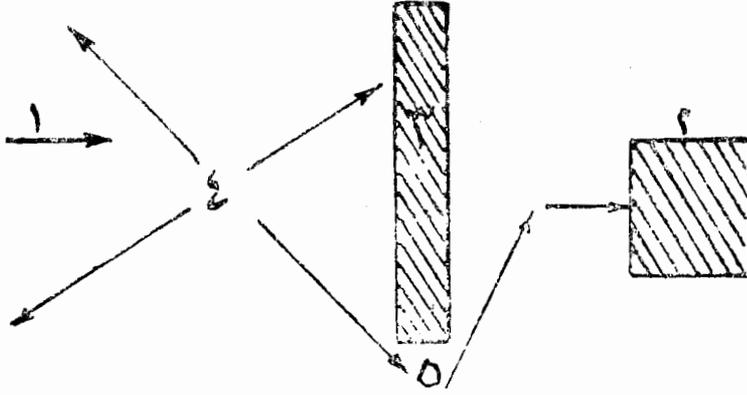
تميل الكائنات الحية الى تغيير نشاطها استجابة لما يحدث فى بيئتها من تغير •• فعندما يطرأ تغير على البيئة التى يعيش بها الكائن فإنه يعدل سلوكه وفقا لهذا التغير ويبحث عن وسائل جديدة لاشباع حاجاته ، فاذا لم يجد اشباعا لهذه الحاجات فى بيئته فهو اما أن يعمل على تعديلها أو يعمل على تعديل حاجاته ، وهذا النوع من السلوك يسمى « بالتكيف » (Adjustment) ، فالتكيف يشير الى أن الأحداث النفسية تعمل على استبعاد حالات التوتر واعادة الفرد الى مستوى معين هو المستوى المناسب لحياته اذا لم يحدث تكيف على الاطلاق فإن الكائن يموت •

وإذا أشبعت جميع دوافع الانسان فى الحال اشباعا سهلا فلن تصبح هناك حاجة لعملية التكيف ، ولكن ذلك لا يحدث فى كثير من الأحوال • فهناك عقبات معينة تحول دون الاشباع المباشر للدوافع •• فمثلا قد تستثار لدى الفرد دوافع للسيطرة والسيادة أو الشهرة والمكانة المرموقة ، وقد لا يستطيع اشباع هذه الدوافع وازالة التوتر الناجم عنها فى الحال ، وقد يكون سبب ذلك بعض العقبات الخارجية كالمنافسة التى يجدها عند أشخاص آخرين تحركهم نفس الدوافع ، أو قد يرجع ذلك الى عقبات أخرى داخلية ناجمة عن نقص فى قدراته • ولكن من شأن الدافع القوى متى استثير أن يجعل الفرد فى حالة نشاط وحركة حتى تحدث استجابة تشبع الدوافع وتزيل التوتر • وهذه الأفعال التى تظهر عندما يستثار الدافع وتنتهى عندما يشبع هى التى تسمى فى مجموعها بعملية التكيف •

* * *

● عملية التكيف :

يمكن أن نوضح عملية التكيف بالشكل الآتي (١٢) :



شكل رقم (٢) - عملية التكيف

شخص يسلك سلوكا معيناً (١) مدفوعاً بدافع معين نحو الهدف (٢) الذي يشبع هذا الدافع ، وعندما تعترضه عقبة (٣) فإنه يقوم بأفعال أو استجابات مختلفة (٤) حتى يجد أنه باستجابة معينة (٥) يتغلب على هذه العقبة ويصل الى هدفه (٢) ويشبع حاجته . والخطوات الرئيسية في هذا التسلسل الذي يرمى الى التكيف ترجع الى استمرار وجود الدافع ، فاذا وجد عائق يحول دون الاشباع المباشر فان الكائن يقوم بعدة استجابات مختلفة ليزيل التوتر ويشبع حاجته . وتتوقف قوة الاستجابات واستمرارها الى حد كبير على شدة الدافع أولاً ، ثم على العوائق التي تحول دون الاشباع المباشر وتثير استجابات مختلفة تؤدي الى خفض التوتر أو الى الاشباع ، كما تتوقف أيضاً على قدرة الفرد على ادراك الموقف الذي يتطلب تكيفاً .

وقد يكفي ظهور أى عائق أمام الدافع حتى تبدأ عملية التكيف، ولكن قوة الاستجابات واستمرارها تتوقف بدرجة كبيرة على شدة الدافع . ففي كل يوم من حياتنا تحدث عدة عمليات للتكيف بالنسبة

للكثير من الدوافع ، واذا كان الدافع وقتيا عبثا فقد يختفى قبل أن توجد طريقة للاشباع ، ولكن هناك دوافع قوية تتعلق بالجماعة التي يعيش فيها الفرد كالرغبة فى السيطرة والتفوق والمكانة الاجتماعية المرموقة مما له أكبر الأثر فى مشكلات التكيف . وان اعاقه مثل هذه الدوافع يؤدى الى نشاط مستمر لا يتوقف الا اذا حدث نوع من الاشباع ولو كان اشباعا غير سوى .

* * *

● مؤشرات التكيف والصحة النفسية :

هناك علامات أو مؤشرات يمكن أن نتبينها فى الاستدلال على التوافق والصحة النفسية للأفراد ، ومن أهم هذه المؤشرات ما يأتى (١٣) :

١ - مدى تقبل الفرد للحقائق المتعلقة بقدراته وامكانياته :

يختلف الناس من حيث قدراتهم واستعداداتهم الجسمية والعقلية وامكانياتهم الشخصية فى شتى المجالات ، وطبقا لبدأ الفروق الفردية فاننا نختلف فى هذه النواحي اختلافات واسعة . واحدى وسائل التعرف على الصحة النفسية لشخص من الأشخاص هى أن نسأل : الى أى حد يدرك هذا الشخص حقيقة وجود الفروق الفردية بين الناس ومدى اتساع هذه الفروق ؟ وكيف يتصور هذا الشخص نفسه بمقارنتها بالآخرين ؟ وما هى قدرته عن حدود قدراته وميزاته الشخصية وما يستطيعه وما لا يستطيعه ؟

اننا قد نجد بعض الأشخاص ممن يدركون أنفسهم على حقيقتها، ويفهمون ذواتهم فهما واقعيًا عن وعى واستبصار ، وفى ذلك ما يهيب لهم أن يتجنبوا مواقف الاحباط والاختفاق والفشل ويساعدهم على الانجاز السليم وتحقيق أهدافهم والتوافق فى حياتهم . ولكننا فى ذات الوقت نلاحظ أن الكثيرين يميلون الى المبالغة فى تصور قدراتهم

(١٣) صموئيل مغاريوس : الصحة النفسية والعمل المدرسي . القاهرة
مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٤ ، ص ٥٥ - ٦٠ .

ويتوهمون فى أنفسهم أكبر من طاقاتهم ، كما يحاول البعض الآخر أن يقلل أو يهون من شأن نفسه ويركز على نواحي قصوره وعيوبه ونقائصه ولا يستطيع — بسبب ما يعانیه من الشعور بالنقص — أن يرى امكانياته على حقيقتها بوضوح .

ونستطيع أن ندرك بسهولة كيف أن تصور الفرد الخاطيء لنفسه أو عدم تقبله للحقائق الموضوعية المتعلقة بشخصه ، لا يؤدي الى توافقه وتكيفه النفسى أو الى حسن تعامله مع الآخرين .

٢ — مدى استمتاع الفرد بعلاقاته الاجتماعية :

اننا نلاحظ أن بعض الأفراد يتميزون بالمقدرة على اقامة علاقات اجتماعية موفقة مع الآخرين وعقد الصداقات وتدعيم الروابط فى الجماعات التى يتصلون بها . وتعتبر هذه العلاقات الاجتماعية سندا وجدانيا هاما وأحد مقومات انصحة النفسية .

اننا بحاجة شديدة الى الشعور بالانتماء ، والى تقبل الآخرين وتقديرهم لنا واعترافهم بنا ، والى احساسنا كذلك بأننا نستطيع أن نسهم بايجابية فى المجموعات التى ننتمى اليها ، وأن نكون أعضاء نافعين فى هذه الجماعات ، حتى نحقق التوافق والاشباع فى حياتنا . واذا ما كانت علاقة الفرد مع زملائه أو رفاقه علاقة سيئة متدهورة ، فان ذلك من شأنه أن يؤثر على معنوياته وعلى توافقه النفسى .

ومعنى هذا أن النجاح أو الفشل فى اقامة علاقات مشبعة فى مجال الأسرة والصداقة والزمالة هو أحد المعايير الأساسية للتوافق والصحة النفسية .

٣ — مدى نجاح الفرد فى عمله ورضاه عنه :

هناك بعض الأفراد الذين يؤدون أعمالا وهم كارهون ، أو أعمالا غير ملائمة لقدراتهم وامكانياتهم واستعداداتهم إذ قد تكون متطلبات هذه الأعمال أكثر مما يستطيعه الشخص أو أقل منه . فقد نجد شخصا

يؤدي عملا روتينيا متكررا لا يسمح بالابتكار أو التعديل أو التغيير ،
فى حين أن الشخص تتوافر لديه قدرات ابداعية وابتكارية ، وحينئذ
يشعر الشخص بنفور من العمل ولا يرضى عنه ولا يحقق الكفاية
الانتاجية المنشودة . وعلى العكس من ذلك ، اذا كان العمل يتطلب
قدرة تحليلية أو ابتكارية لا تتوافر لدى الشخص القائم به ، فإنه
سيشعر بأن متطلبات العمل فوق مستواه ويشعر بقصوره وعجزه مما
يؤدي الى الاحباط ، وقد ينعكس هذا على حياته بصفة عامة فيقضى
مضجعه وينغص حياته ويصبح قلقا لا يستقر على حال . هذا بالإضافة
الى مدى ما يحققه العمل من اشباع لحاجات الفرد المادية والمعنوية .
ان وضع الفرد المناسب فى العمل الملائم من أهم الموضوعات
التي يتصدى لها العلم الحديث . . فهناك فرع من علم النفس وهو
« علم النفس المهني » الذي يستهدف المواءمة بين الفرد والعمل ،
ويتضمن جانبين هامين : الأول هو « التوجيه المهني » الذي يرمى الى
مساعدة الفرد على اختيار الأعمال التي تتناسب مع قدراته واستعداداته
وميوله وميزاته الشخصية وخبراته بما يحقق له الرضا والاشباع .
والثاني هو « الانتقاء المهني » الذي يستهدف انتقاء أصلح فرد لأداء
العمل بنجاح .

٤ - مدى كفاءة الفرد فى مواجهة مشكلات الحياة اليومية :

تختلف قدرة الناس على تحمل المشاق ومواجهة مشكلات الحياة
اليومية . . فنجد بعض الناس ينزعجون انزعاجا شديدا عند حدوث
أى تغيير غير متوقع فى مجرى الأمور أو لعدم حصولهم على ما يريدون ،
وقد يصل الأمر بهم الى الاضطراب والانهيار لمجرد تعرضهم للاحباطات
البسيطة . وعلى العكس من ذلك فهناك من الناس من يستطيع أن
يواجه مشكلات الحياة وأحداثها اليومية بصلافة وقوة مع درجة عالية
من التحمل والصمود ، فيستطيع أن يواجه مواقف الاحباط باتزان وهدهوء
دون تسرع أو تخبط .

ان درجة مواجهة المشاق وتحمل الصعاب تعتبر من أهم مقاييس
الصحة النفسية واحدى المؤشرات للتكيف السليم .

٥ - تنوع نشاط الفرد وشموله :

يقصر بعض الناس اهتمامتهم على جانب واحد فقط من جوانب نموه كأن يركز على تنمية مداركه العقلية أو قواه الجسمية أو على الدراسة والتحصيل دون العناية بجوانب النمو الأخرى • ولكن الاستمتاع بالحياة والتجاوب معها يستلزم العناية بأنواع متعددة من المعارف والمهارات ، ويقتضى الحرص على النمو المتكامل ألا نهمل ناحية من نواحيه ولا نسمح بجانب واحد أو مظهر من مظاهر النمو بأن يطغى على الجوانب والظواهر الأخرى • اننا بحاجة الى أن تنمو معارفنا ومداركنا ، كما نحتاج الى تنمية الكثير من المهارات الحركية والفنية والعملية ، كما نحتاج الى العناية بالنمو الجسمي ، هذا بالإضافة الى الاهتمام بتنمية علاقاتنا الاجتماعية ، الى غير ذلك من أبعاد النمو المختلفة •

وهناك فرق كبير بين أن تكون اهتمامات الشخص ضيقة ومحدودة وبين أن تتسع اهتماماته وميوله فتشمل نواحي الحياة المختلفة • فاذا صادف أحد الأفراد احباطا أو فشل في حياته عند محاولة تحقيق هدف معين فإنه اذا لم يكن قد اختار هدفا آخر في الحياة واكتفى بتركيز كل آماله على هذا الهدف فإنه سينهار فعلا وستظل حياته مثقرة الى الاشباع باستمرار • أما اذا اتخذ الفرد لحياته أهدافا واهتمامات متنوعة متعددة ، فإنه اذا ما فشل في تحقيق أحدها يستطيع أن يعرض ذلك عن طريق الاهتمام بالأهداف الأخرى ، وبذا يمكنه أن يحقق التوافق في حياته •

٦ - اشباع الفرد لدوافعه وحاجاته :

تحرك الانسان في كل مرحلة من مراحل حياته دوافع وحاجات أساسية ، وبعض هذه الحاجات فسيولوجي في طبيعته والبعض الآخر نفسي اجتماعي • ان اشباع الدوافع والحاجات من ألزم الضروريات للانسان لتحقيق التوافق والشخصية السوية والصحة النفسية السليمة •

٧ - ثبات اتجاهات الفرد :

ان ثبات اتجاهات الفرد ومواقفه أمر لا يتحقق الا مع توافق خط فكري واضح وخلفية فلسفية عميقة تصدر عنها أحكام الفرد وتصرفاته المختلفة . ان هذه الفلسفة المتعلقة بالحياة تيسر على الفرد أن يتصرف بصورة تلقائية تقريبا بالنسبة لأغلب الموضوعات والقضايا التي تعرض له . ولا شك في أن تكوين فلسفة واضحة في الحياة ليس بالأمر السهل الهين ، بل هي عملية تدريجية تتأثر بما يكونه الفرد من قيم خلال حياته وخبراته المتنوعة في الأسرة والعمل والدراسة وفي خلال اتصالاته الاجتماعية ، كما تتأثر أيضا بثقافة الفرد وما يبذله من جهد في حياته ومن اتصالات يقوم بها .

ولا نعني بثبات الاتجاهات أن تكون الاتجاهات جامدة غير قابلة للتعديل أو التطوير ، بل من الضروري أن تتوافر المرونة حيث انها دليل على النمو والتقدم ، والمقصود ألا تتصف اتجاهات الفرد بالتناقض والتذبذب على المدى القصير . ومن الواضح أن ثبات اتجاهات الفرد يشير الى تكامل الشخصية والى الموضوع والاطراد كما تشير أيضا الى الاستقرار الانفعالي الى حد كبير .

٨ - تصدى الفرد لمسئولية أفعاله وقراراته :

لا شك أن قدرة الشخص على تحمل مسئولية أفعاله وما يتخذه من قرارات هو احدى علامات التكامل والصحة النفسية في آن واحد ، كما أن التهرب من المسئولية هو دلالة واضحة على عدم تكامل النضج الانفعالي . ومن المعروف أن الطفل يعتمد اعتمادا كبيرا على الآخرين الذين يتحملون مسئولية اشباع حاجاته المختلفة ويتخذون نيابة عنه القرارات المتعلقة بأغلب أموره . وكلما كبر الطفل قل تدريجيا اعتماده على الآخرين وزاد اعتماده على نفسه في توجيه شؤون حياته . واذا ما انتقل الفرد الى مرحلة الرشد فمن المفروض أن يتحمل مسئولية ما يقوم به من أفعال وتصرفات وما يصدر من أحكام وتوقع على عاتقه

وحده هذه المسئوليات • ومعنى ذلك أن المسئولية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنضج والرشد ، ويعنى افتقار الفرد إليها أنه لم يصل الى النضج الوجدانى والاجتماعى الكافى وأن هناك خطأ ما أو قصوراً فى تنشئة هذا الفرد وفى تطبيعه الاجتماعى •

الشخصية والأخلاق

ان الاحاطة بموضوع الشخصية يدعونا الى أن نلقى نظرة سريعة على بحث الأخلاق والدين وصلتهما بالشخصية • ولقد كان « الغزالى » من المبرزين فى هذا الميدان ، وكانت الدراسات الأخلاقية ضعيفة قبل أن يتناولها بالتوضيح والتنظيم القائمين على فهم عميق بالذات البشرية • وللخلق عند الغزالى معان أربعة (١٤) :

- ١ - الفعل الجميل والقبیح •
- ٢ - القدرة عليهما •
- ٣ - المعرفة بهما •
- ٤ - وأخيراً هيئة للنفس بها تميل الى أحد الجانبين ، وتيسر عليها أحد الأمرين ، أما الحسن وأما القبح •

وهكذا فان الخلق عند الغزالى ليس هو الفعل أو السلوك المفرد، فرب شخص خلقه السخاء ، ولا يبذل ، أما لفقد مال أو لمانع ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل ، أما لباعث معين أو لرياء • وليس الخلق هو القوة لأن نسبة القوة الى الامسك والأعطاء واحدة ، وكل انسان خلق بالفطرة قادراً على الاعطاء والامسك • وليس الخلق هو المعرفة، فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبیح جميعاً على وجه واحد • فالخلق هو عبارة عن المعنى الرابع ، وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لأن يصدر منها الامسك أو البذل • فالخلق - اذن - عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة •

(١٤) عبد الكريم العثمان : دراسات نفسية عند المسلمين والغزالى بوجه خاص (ط ٢) ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨١ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٨ .
(٧ - الشخصية السوية)

وقد اقتبس الغزالي نظرية الفضائل الأربعة التي قال بها أفلاطون وهي : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، كما نظر الى الفضيلة على أنها وسط بين رذيلتين متأثرا بأرسطو . وقد عرض الغزالي هذه الفضائل بمضمون اسلامي ، وأضاف اليها مجموعة من القيم المكتسبة من روح الاسلام ، كالرحمة والحرية والتدين والعدل . ويلاحظ أن كثيرا من فلاسفة الاسلام كابن مكسويه وابن سينا والتوحيدى قالوا بهذه الفضائل ، كما قالوا بأن الفضيلة وسط ، لقوله تعالى : « **وَتَذَكُّرُكُمْ** أمة وسطا ٠٠ » (البقرة : ١٤٣)

ان الأخلاق فى الاسلام لم تدع جانبا من جوانب الحياة الانسانية ٠٠ روحية أو جسمية ، دنية أو دينوية ، عقلية أو انفعالية ، أو فردية أو اجتماعية ٠٠ الا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع التكوين . وفيما يلي أمثلة لهذا الشمول فى مجال الفرد والمجتمع :

١ - ان من أخلاق الاسلام ما يتعلق بالفرد فى كافة نواحيه :

(أ) جسما له ضروراته وحاجته ، مثل قول الله تعالى :

« **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** » . (الأعراف : ٣١)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان لبدنك عليك

حقا » . (رواه الشيخان)

(ب) وعقل له مواهبه وآفاقه ، يول القرآن الكريم :

« **قُلْ انظُرُوا ماذا فى السموات والأرض ٠٠** » .

(يونس : ١٠١)

« **قُلْ انما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم**

تتفكروا » . (سبأ : ٤٦)

(ج) ونفسا لها مشاعرها ودوافعها ، يقول تعالى :

« **ونفسى وما سواها ٠ فأنلهمها فجورها وتقواها ٠ قد أفلح من**

زكاها ٠ وقد خاب من دساها » . (الشمس : ٧ - ١٠)

٢ - ومن أخلاق الاسلام ما يتعلق بالمجتمع :

(أ) فى آدابه ومجاملاته ، مثل :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا**

وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون «
(النور : ٢٧)

(ب) وفى اقتصاده ومعاملاته :

« ويل للمطففين • الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون • وإذا

كالوهم أو وزنوهم يخسرون «
(المطففين : ١ - ٣)

(ج) وفى سياسته وحكمه :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين

الناس أن تحكموا بالعدل «
(النساء : ٥٨)

وبهذا يتجلى شمول الأخلاق الإسلامية ، من حيث موضوعها

ومحتواها ••

● الأخلاق الفاضلة فى القرآن والسنة :

يحث القرآن الكريم على التحلى بالأخلاق الفاضلة واتباع
الأسلوب القويم ، والابتعاد عن الشر وسوء الخلق •• وسنناقش
فيما يلي أهم القيم والمبادئ الخلقية التى تتضمنها المعاملة ، مع
الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وتتلخص هذه المبادئ
فيما يأتى :

— أدب الحديث •

— التسامح والرحمة •

— الحلم والصفح •

— العدالة •

— الصدق والأمانة •

— الوفاء والاخلاص •

— الصبر •

— الحياء •

— الاخاء •

— الاتحاد والتعاون •

أولا - أدب الحديث :

ان نعمة البيان أجل النعم التي أسبغها الله تعالى على الانسان ،
وكرمه بها على سائر الخلق ، قال تعالى :

« الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان » •

(الرحمن : ١ - ٤)

وقد أوضح الاسلام كيف يستفيد الناس من هذه النعمة المسداة ،
وكيف يجعلون كلامهم الذي يتردد على ألسنتهم طوال يومهم طريقا
الى الخير المنشود • وقد عنى الاسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام
وأسلوب أدائه ، لأن الكلام الصادر عن انسان ما يشير الى حقيقة
عقله وطبقة خلقه ، ولأن طرق الحديث السائدة فى جماعة ما تحكم على
مستواها العام ومدى تغلغل الفضيلة فى بيئتها •

والبعد عن اللغو من أركان الفلاح ، ودلائل الاكتمال ، وقد ذكره
القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الاسلام ، هما الصلاة
والزكاة :

« قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون • والذين
هم عن اللغو معرضون • والذين هم للزكاة فاعلون » •

(المؤمنون : ١ - ٤)

فاذا تكلم المرء فليقل خيرا وليعود لسانه الجميل من القول •
والكلام الطيب العف يجمل مع الأصدقاء والأعداء جميعا وله ثماره
الطيبة • • فأما مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم ، ويستديم صداقتهم ،
ويمنع كيد الشياطين أن يوهن حبالمهم ويفسد ذات بينهم (١٥) • قال
تعالى :

« وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ، ان الشيطان ينزغ
بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا » •

(الاسراء : ٥٣)

(١٥) محمد الغزالي : خلق المسلم (ط ٨) ، القاهرة ، دار الكتب
الحديثة ، ١٩٧٤ ، ص ٧٢ - ٨١ •

وأما حسن الكلام مع الأعداء فهو يطفىء خصومتهم ، ويكسر
حدتهم ، أو على الأقل يوقف تطور الشر . قال تعالى :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، أدفع بالتي هي أحسن فإذا
الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » • (فصلت : ٣٤)
ومن الحديث النبوى الشريف :

— عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا ، أو ليصمت » •
(متفق عليه)

— وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان العبد
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا
يرفعه الله بها درجات ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى
لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم » • (رواه البخارى)

— وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ••
أى المسلمين أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » •
(متفق عليه)

— « أكثر خطايا ابن آدم لسانه » • (الطبرانى والبيهقى)

ثانيا - التسامح والرحمة :

الاسلام دين سمح يشجع على الحرية فى التفكير والحرية فى
ابداء رأى ، ويدعو الى تبادل المودة والتراحم بين بنى البشر • والقرآن
الكريم يحثنا على العفو والصفح والاعراض عن الجاهلين ، كما يأمرنا
أن نصل من قطعنا ونعطي من حرماننا ، قال تعالى :

« •• فاصفح الصفح الجميل » • (الحجر : ٨٥)

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » •

(الأعراف : ١٩٩)

« •• وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله

غفور رحيم » • (النور : ٢٢)

ان هذه الصفات الخلقية التي حثنا الاسلام على التحلى بها هي المثل العليا التي تربط الانسان بأخيه الانسان . فبالترسامح والحلم تدوم الأخوة الصادقة وتقوى الروابط والصلات بين الناس . والمؤمن عزيز النفس يدرك كل الادراك متى يقابل الاساءة بالعفو ومتى يقابل الاساءة بمثلها (١٦) قال تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ،

انه لا يجب الظالمين » . (الشورى : ٤٠)

ان الرحمة كمال في الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الآخرين ويسعى لازالتها ، ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى . هي كمال في الطبيعة لأن تبدل الحس يهوى بالانسان من منزلته الانسانية بل ويجرده من أفضل صفاته ، وهي العاطفة النابضة بالحب والمودة والرحمة والرافة .

والرحمة في أرقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة الخالق عز وجل . فان رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت . فحيثما أشرف شعاع من علمه المحيط بكل شيء اثبتق معه شعاع للرحمة الغامرة . ولذلك كان من صلاة الملائكة له سبحانه :

« ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا

سبيلك وقهم عذاب الجحيم » . (غافر : ٧)

وكثير من أسماء الله الحسنى ينبع من معاني الرحمة والكرم والفضل والعفو . وقد جاء في الحديث القدسي : « ان رحمتي تغلب غضبي » . (رواه البخارى)

ولقد أراد الله أن يمن على العالم برجل يمسخ آلامه ، ويخفف أجزائه ، ويرثي لخطاياها ، ويأخذ بناصر الضعيف . فأرسل « محمدا » عليه الصلاة والسلام ، وسكب في قلبه العلم والحلم ، وفي خلقه

(١٦) صلاح عبد القادر البكري : القرآن وبناء الانسان جـدة :

تهامة ، ١٩٨٢ ، ص ١٣٩ - ١٤٢ .

من الأيناس والبر ، وفى طبعه من السهولة والرفق ، ما جعله أزكى عباد الله رحمة ، وأوسعهم عاطفة ، وأرحبهم صدرا • لذلك قال فيه :

« فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا تقتضوا

من حولك .. » • (آل عمران : ١٥٩)

وقد جاءت الأحاديث تترى حاثثة على هذه الرحمة الشاملة ، فقال

عليه الصلاة والسلام : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » •

(البخارى)

— « من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء » •

(الطبرانى)

— « من لا يرحم لا يرحم ، ومن لا يغفر لا يغفر له » •

(أحمد)

— « لا تنزع الرحمة الا من شقى » • (أبو داوود)

والاسلام رسالة خير وسلام وعطف على البشر كلهم ، وقد قال

الله لرسوله : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » •

(الأنبياء : ١٠٧)

وسور القرآن كلها مفتتحة بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » •

وليسست الرحمة حنانا لا عقل منه ، أو شفقة تتنكر للعدل والنظام

•• انها عاطفة ترعى هذه الحقوق جميعا •• فالزجر فى موضعه ، والعقاب

فى مكانه ، مطلوب عندما تدعو الحاجة ، كى تستقيم الأمور ويستتب

الأمن والنظام •• أن القسوة التى استنكرها الاسلام جفاف فى النفس

لا يرتبط بمنطق أو عدالة •• انها نزوة تتشبع من الاساءة والايذاء ،

وتتمد مع الأثرة المجردة والهوى الأعمى •• أما الرحمة فهى أثر من

الجمال الالهى الباقي فى طابع البشر يحدوهم الى البر ، ويهب عليهم

فى الأزمان الخائفة ريحا لطيفة ترطب الحياة وتنعش الصدور •

ونبه الاسلام الى أن هناك أقواما ينبغى أن يحظوا بأضعاف من

الرحمة والعناية :

— من هؤلاء ذوو الأرحام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، الرحم شجرة (أى قرابة مشنبكة) من الرحمن ، من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله » . (الترمذى)

فعلى المسلم أن يؤدى حقوق أقربائه وأن يقوى بالمودة الدائمة صلات الدم القائمة . . وأجدر الناس وأولاهم بهذه الرحمة هم الوالدان ، قال تعالى :

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » . (الاسراء : ٢٤)

— وممن تجب الرحمة بهم اليتامى ، فان الاحسان اليهم والبسر بهم وكفالة عيشتهم وصيانة حقوقهم من أزكى القربات .
فعن أبى هريرة أن رجلا شكأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسوة قلبه . فقال عليه الصلاة والسلام : « امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين » . (رواه أحمد)

— وتجمل الرحمة مع المرضى وذوى العاهات . . فان هؤلاء المصابين من شأنهم أن يستقبلوا الحياة بوسائل وامكانات منقوصة ، تعجزهم عن المسير فى ركبها وادراك أغراضهم منها ، وقد عذرهم الله تعالى فلا يجوز أن يؤاخذهم بما أعفاهم الله منه :

« ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ومن ينول يعذبه عذابا أليما » . (الفتح : ١٧)

ثالثا — الحلم والصفح :

تتفاوت درجات الناس فى الثبات أمام المثيرات . . فمنهم من تستخفه التوافه فيثور بسرعة ، ومنهم من تستفزّه الشدائد فيبقى على وضعها الأليم محتفظا برجاحة عقله وسماحة خلقه . ومع أن للطباع

الأصيلة دخلا كبيرا في أنصبة الناس من الحدة والهدوء ، والعجلة والأناة ، والكدر والسماحة ، الا أن هناك ارتباطا مؤكدا بين ثقة الفرد بنفسه وبين أناته مع الآخرين وتجاوزه عن خطئهم • فالرجل العظيم حقا كلما حلق في آفاق الكمال اتسع صدره ، وامتد حلمه ، وعذر الناس من أنفسهم ، والتمس المبررات لأخطائهم •

وقد رأينا الغضب يشتط بأصحابه الى حد الجنون ، عندما لا يمتلكون زمام أنفسهم ، ويرون أنهم حقروا تحقيرا لا يعالجه الا سفك الدم • فلو كان الشخص يعيش وراء أسوار عالية من فضائله فانه لا يحس بوخز الألم على هذا النحو الشديد ، فالاهانات تسقط على قاذفها قبل أن تصل الى مرماها البعيد • وهذا المعنى يفسر لنا حلم « هود » عليه السلام وهو يستمع الى اجابة قومه بعدما دعاهم الى توحيد الله (١٧) فقالوا :

« •• انا لنراك في سفاهة وانا لننظنك من الكاذبين • قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين • أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين » • (الأعراف : ٦٦ - ٦٨)

والجاهلية التي عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم محوها كانت تقوم على ضربين من انجھالة : جهالة ضد العلم ، وأخرى ضد الحلم • فاما الأولى فتتطبع ظلامها يتم بأنواع المعرفة وفنون التوجيه والارشاد ، وأما الأخرى فكف ظلمها يعتمد على كبح النفس ومنع الفساد • فجاء الاسلام ليقيم أركان المجتمع على العدل ، ولن تتحقق هذه الغاية الا اذا هيمن العقل الراشد على غريزة الغضب • وكثير من النصائح التي أسداها الرسول للعرب تتجه الى هذا الهدف ، حتى اعتبرت مظاهر الطيش والتعدى انفلاتا من الاسلام وانطلاقا من القيود التي ربط بها الجماعة ، ومن الحديث : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » • (مسلم)

(١٧) محمد الغزالي : خالق المسلم (ط ٨) . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٧٤ ، ص ١٠٤ .

ومن الناس من لا يسكت عنه الغضب ، فهو فى ثورة دائمة ،
وتغنيظ يطبع على وجهه العبوس • إذا مسه أحد ارتعش كالمصوم ،
وأنتشاً يرغى ويزبد ويلعن ويطعن • والاسلام برىء من كل هذه الخلال
الكذرة • واللعن من الخصال السيئة ، والذين يستنزلون اللعنات على
غيرهم لأنفته الأسباب يتعرضون لبلاء جسيم • بل ان المرء يجب أن
ينتزه عن لعن غيره ولو أصابه منه الأذى الشديد • وعلى قدر ما يغبط
المسلم نفسه ، ويكظم غيظه ، ويملك قوله ، ويتجاوز الهفوات ، ويرثى
للعثرات ، تكون منزلته عند الله • قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بدىء » •
(الترمذى)

ومن الآيات الكريمة فى هذا المجال :

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » •

(الأعراف : ١٩٩)

« •• وليعفوا وليصْفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله

(النور : ٢٢)

غفور رحيم » •

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فاذا

(فصلت : ٣٤)

الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » •

« •• والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين »

(آل عمران : ١٣٤)

« والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم

(الشورى : ٣٧)

يغفرون » •

ومن الحديث النبوى الشريف :

— عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة (أى الذى يغلب الناس

ويصرعهم) انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » •

(متفق عليه)

(أحمد)

— « اذا غضب أحدكم فليسكت » •

— « قال الله عز وجل : من ذكرنى حين يغضب ذكرته حين أغضب ، ولا أمحقه فيمن أمحق » • (الديلمى)
— عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » •

(منفق عليه)

— وعنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرفق لا يكون فى شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه » • (مسلم)

* * *

رابعاً - العدالة :

الاسلام دين الوحدة بين العبادة والمعاملة ، والعقيدة والسلوك ، والروحيات والماديات ، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية • انه دين الوحدة بين القوى الكونية جميعا ، فهو دين التوحيد • • توحيد الاله ، وتوحيد الأديان جميعا فى دين الله ، قال تعالى :

« وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » •

(المؤمنون : ٥٢)

وعن تلك الوحدة الكبرى تصدر تشريعات الاسلام وفرائضه ، وحدوده وتوجيهاته ، وآراؤه فى مختلف الشؤون السياسية والاقتصادية والمعاملات • وفى ذلك الأصل الكبير تنطوى سائر الأجزاء والتفصيلات وحين ندرك هذه الفكرة الكلية فى طبيعة النظرة الاسلامية للكون والحياة والانسان ، ندرك معها الخطوط الأساسية للعدالة الاجتماعية فى الاسلام • • فهى قبل كل شيء عدالة انسانية شاملة ، تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها ، كما تتناول الشعور والسلوك ، والضمائر والوجدانات ، والقيم المادية والمعنوية والروحية • ان الحياة فى نظر الاسلام تراحم وتودد وتعاون وتكافل بين المسلمين على وجه خاص ، وبين أفراد الانسانية على وجه عام (١٨) •

(١٨) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام • القاهرة : مكتبة

وعندما يضع الاسلام نظمه وتشريعاته ، ونصائحه وتوجيهاته ، لا يغفل ذلك الحب الفطرى للذات عند الانسان ، ولا ينسى ذلك الشح الفطرى العميق ، ولكنه يعالج الأثرة ويعالج الشح بالتوجيه وبالتشريع فلا يكلف الانسان الا وسعه ، ولا يغفل فى الوقت ذاته حاجات الجماعة ومصالحها ، وغايات الحياة العليا فى الفرد والجماعة على توالى العصور والأجيال . يقول الله تعالى فى كتابه الكريم عن الانسان :

« وانه لحب الخير لشديد » (العاديات : ٨)

« ٠٠ وأحضرت الأنفس الشح ٠٠ » (النساء : ١٢٨)

« قل لو أقمتم لتكون خزائن رحمة ربى أذن لأمسكم خمسية

الاتفاق ، وكان الانسان قتورا » (الاسراء : ١٠٠)

لقد قرر الاسلام مبدأ المساواة الانسانية ، ومبدأ العدل بين الجميع ، ثم ترك الباب مفتوحا للتفاضل بالجهد والعمل ، كما وضع فى الميزان قيما أخرى غير القيم الاقتصادية . قال تعالى :

« ٠٠ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ٠٠ » (الحجرات : ١٣)

« ٠٠ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم

درجات ٠٠ » (المجادلة : ١١)

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير

عند ربك ثوابا وخيرا أملا » (الكهف : ٤٦)

وهكذا يبدو أن الاسلام قد وضع قيما أخرى - غير القيم الاقتصادية - يحسب حسابها ، ويجعل منها وسيلة للتعاقد فى المجتمع حين تتفاوت الأرزاق بين الناس . فالعدل المطلق يقتضى أن تتفاوت الأرزاق ، وأن يفضل بعض الناس بعضا فيها مع تحقق العدالة الانسانية باتاحة الفرص المتكافئة للجميع ، فلا يقف أمام فرد حسب ولا نشأة ولا أصل ولا جنس ، ولا قيد واحد من القيود التى تغل الجهود وتعطلها .

ان العدالة فى ذاتها مطلوبة لأنها أقرب القربات الى الله تعالى . .
العدالة فى كل شىء وفى كل عمل ، أى العدالة فى الأقوال والأفعال

والسلوك عامة • ويجب على المؤمن أن يقاوم الباطل وأن يناصر الحق بكل ما أوتى من قوة • وليس فى الاسلام تطبيقية فلا يكرم الغنى لغناه، ولا يذل الفقير لفقره ، كما لا يعرف التفرقة العنصرية ، فلا فضل لعربى عن أعجمى الا بالتقوى ^(١٩) يقول تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » •

(الحجرات : ١٣)

• « .. واذا قتلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » •

(الأنعام : ١٥٢)

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » •

(النحل : ٩٠)

• « .. ألا لعنة الله على الظالمين » •

(هود : ١٨)

• « .. ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » •

(غافر : ١٨)

• « وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لهم موعدا » •

(الكهف : ٥٩)

ومن الحديث النبوى الشريف فى النهى عن الظلم :

— « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من

(الطبرانى وأحمد)

• الاسلام » •

— « يقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لأنتقم من الظالم فى

عاجله وآجله • ولأنتقم من من رأى مظلوماً فقد ر أن ينصره فلم

(أحمد)

• ينصره » •

— « لعن الله من رأى مظلوماً فلم ينصره » • (الديلمى)

(١٩) صلاح عبد التادر البكرى : القرآن وبناء الانسان . جـدة .

تهامة ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٥ .

- « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » • (أبو داوود)
- « اذا رأيت أمتى لا يقولون للظالم منهم : أنت ظالم ، فقد تودع منهم » (الترمذى)
- « دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ، فنجوره على نفسه » • (أحمد)

* * *

خامسا - الصدق والأمانة :

- ان الاستمسك بالصدق فى كل شىء ، وتحريه فى كل قضية ، والالتجاء اليه فى كل حكم •• دعامه أساسية فى خلق المسلم وصبغة ثابتة فى سلوكه • وكذلك كان بناء المجتمع فى الاسلام قائما على محاربة الظنون ، ونبذ الشائعات ، فان الحقائق وحدها هى التى يجب أن تظهر وتعلب وأن تعتمد فى اقرار العلاقات المختلفة بين الناس •
- قال رسول الله ﷺ : « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » • (البخارى)
- وقال : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فان الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة » • (الترمذى)
- وقد نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التى ملأت عقولهم بالخرافات ، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب ، فقال :
- « •• ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » • (النجم : ٢٣)

وقال : « وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » (النجم : ٢٨)

ولقد كان السلف الصالح يتلاقون على الفضائل ويتعارفون بها ، فاذا أساء أحد السيرة وحاول أن ينفرد بمسلك خاطيء ، بدأ بعمله هذا — كالأجرب بين الأصحاء ، فلا يطيب له مقام بينهم حتى يبرأ من علته وكانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة صدق الحديث ودقة الأداء وضبط

الكلام •• أما الكذب والنفاق والتدليس والافتراء ، فهي أمارات انقطاع الصلة بالدين ، أو هي اتصال بالدين على أسلوب المدلسين والمفترين ، أي أسلوب الكذابين في مخالفة الواقع •

ان الكذب رذيلة محضنة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر ويندفع الى الاثم •• هناك رذائل يلتصق بها الانسان ، تشبه الأمراض التي تعرض للبدن ، بل هي حقا أمراض اجتماعية أو خلقية ، ولا يصح منها الا بعد علاج طويل ، كالخوف الذي يصاب به العيابون ، أو الحرص الذي تنقبض به الأيدي • وقد تكون هناك أعذار لمن يشعرون بوسواس الحرص أو الخوف عندما يواجهون مواقف التضحية والفداء •• ولكنه لا عذر البتة لمن يتخذون الكذب خلقاً ويعيشون به على خديعة الناس •

قال رسول الله ﷺ : « يطبع المؤمن على الخلال كلها ، الا الخيانة والكذب » • (أحمد)

وكلما اتسع نطاق الضرر اثر كذبة يشيعها أفك جرىء كان الوزر عند الله أعظم • وهذا المضرب من الافتراء فاحش في حقيقته ، وخيم في نتيجته • ويدخل في نطاق هذا الافتراء ، سائر ما ابتدعه الجهال ، وأقحموه على دين الله من محدثات لا أصل لها ، عدها العوام ديناً ، وما هي بدين ، ولكنها لهو و لعب •

والمرء قد يستسهل الكذب حين يمزح ، حاسباً أن مجال اللهو لا خطر فيه على أخبار أو اختلاف •• ولكن الاسلام الذي أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك الا في حدود الصدق المحض ، فان في الحلال مندوحة عن الحرام ، وفي الحق غناء عن الباطل • والمشاهد أن الناس يطلقون العنان لأخيلتهم في تلفيق الأضاحيك ولا يحسون حرجاً في ادارة أحاديث مفتراة على السنة خصومهم أو أصدقائهم ليتندروا بها أو يسخروا منها • وقد حرم الدين هذا المسلك تحريماً تاماً ، اذ الحق أن اللهو بالكذب ، كثيراً ما ينتهي الى أحزان وعداوات •

قال رسول الله ﷺ : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له » . (الترمذى)

والاسلام يستلزم من معتدته أن يكون ذا ضمير يقظ ، تصان به حقوق الله وحقوق الناس ، وتحرس به الأعمال من دواعى التفریط والاهمال ، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون « أميناً » . والأمانة واسعة الدلالة ، وهى ترمز الى معان شتى مناطها جميعا شعور الفرد بتبعته فى كل أمر يوكل اليه ، وإدراكه الأکید بأنه مسئول أمام ربه ، على النحو الذى فصله الحديث النبوى الكريم : « كلکم راع وكلکم مسئول عن رعيته ، فالأمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيته ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته » .

(رواه البخارى)

وعن أنس قال : ما خطبنا رسول الله ﷺ الا قال : « لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » . (رواه أحمد)

ومن معانى الأمانة وضع كل شىء فى المكان الجدير به واللائق له ، فلا يسند منصب الا لصاحبه التحقيق به ، ولا تملأ وظيفة الا بالرجل الذى ترغفه كفايته اليها . فالأمانة تقضى بأن تختار للأعمال أحسن الناس قياماً بها ، فاذا ملنا عنه لغيره - لهوى أو مجاملة أو قرابة - فقد ارتكبنا بذلك خيانة فادحة . قال رسول الله ﷺ : « من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » . (رواه الحاكم)

وجاء رجل يسأل رسول الله ﷺ : متى تقوم الساعة ؟ فقال له « اذا ضيعت الأمانة ، فانتظر الساعة » . فقال : وكيف اضاعتها ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « اذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة » (٢٠) . (رواه البخارى)

ومن معانى الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملا فى العمل الذى يناط به ، وأن يبذل جهده فى اتمامه على خير وجه • فهذه أمانة يمجدها الاسلام •• أن يخلص الشخص لعمله وأن يعنى باجادته ، وأن يسهر على حقوق الناس التى وضعت بين يديه •

ومن الأمانة ألا يستغل الشخص منصبه الذى عين فيه ، للحصول على منفعة لنفسه أو لذوى قريابه ، فان التشبع من المال العام جريمة • وقد شدد الاسلام فى ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ ، كما شدد فى رفض المكاسب غير المشروعة • قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون • واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » • (الأنفال : ٢٧ - ٢٨)

ومن الآيات القرآنية فى مجال الصدق والأمانة :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » •

(التوبة : ١١٩)

« ليجزى الله الصادقين بصدقهم •• » • (الأحزاب : ٢٤)

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها •• » •

(النساء : ٥٨)

« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » • (المؤمنون : ٨)

« فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته ولينق

الله ربه •• » • (البقرة : ٢٨٣)

ومن الحديث النبوى الشريف : « أد الأمانة الى من ائتمنتك ولا تخن

من خانتك » • (رواه أحمد وأبو داوود)

« المستشار مؤتمن » • (الطبرانى)

سادسا - الوفاء والاخلاص :

إذا أبرم المسلم عقدا فيجب أن يحترمه ، وإذا أعطى عهدا فيجب أن يلتزمه • ومن الايمان أن يكون المرء عند كلمته التى قالها ، فيعرف (٨ - الشخصية السوية)

بين الناس بأن كلمته موثق غليظ لاخوف من نقضها • والوفاء بالعهد يحتاج الى عنصرين ، اذا اكتملا فى النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به ، وهما قوة الذاكرة ، وقوة العزيمة • • ضعف الذاكرة ، وضعف العزيمة ، عائقان كثيفان عن الوفاء بالعهد • والانسان لتجدد الأحداث أمامه ، وترادف الهموم المختلفة عليه — يفعل الزمان فعله العجيب فى نفسه ، فتخبو المعالم الواضحة ، ويمسى ما كان بارزا فى نفسه لا يكاد يظهر • ولهذا فانه يفتقر الى مذكر دائم ليتغلب على النسيان • • فالذكر المطرد ييقظ ضرورة لازمة للوفاء • قال تعالى :

« • • ويعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » •

(الأنعام : ١٥٢)

فاذا ذكر المرء الموثق المأخوذ عليه ، يجب أن ينضم الى هذا الذكر عزم مشدد على تنفيذه ، عزم يذل الأهواء الجامحة ، ويهون الصعاب العارضة ، بحيث يمضى فى سبيل الوفاء بما التزم به مهما تجشّم من مشاق وبذل من تضحيات • • وأقدار الرجال تتفاوت تفاوتاً شاسعاً فى هذا المضمار ، فان ثمن الوفاء قد يكون فادحاً ، قد يكلف المال أو الراحة أو الأحبة أو الحياة • وعندما يستجمع الانسان الذهن الواعى والقلب الكبير ، فهو أهل للوفاء (٢١) •

والعهود التى يرتبط المسلم بها درجات ، فأعلاها مكانة وأقدسها ، العهد الأعظم الذى بين العبد وخالقه • • وان الله خلق الانسان بقدرته ورباه بنعمته ، وطلب منه أن يعرف هذه الحقيقة ، وأن يعترف بها ، وألا تشرد به المعويات ، فيجهلها أو يجحدّها • قال تعالى :

« ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تصدوا الشيطان ، انه لكم عدو

مبين • وأن اعبدوني ، هذا صراط مستقيم » •

(يس : ٦٠ - ٦١)

ومن الوفاء المحمود أن يذكر الشخص ماضيه ليتنتفع به فى حاضره ومستقبله ، فاذا كان فى الماضى معسراً ثم أغناه الله ، أو مريضاً فشفاه

الله ، فلا يجوز له أن يفصل بين أمسه ويومه بجدار سميك ، ثم يزعم أنه ما كان قط فقيراً ولا مريضاً ، ويبنى على غروره بحاضره مسلماً كله فظاظة وجحود .

فهذا نوع من الغدر ينتهي بصاحبه الى النفاق الممقوت .
والاسلام يوصى باحترام العقود التي تسجل فيها الالتزامات المالية وغيرها ، ويأمر بانفاذ الشروط التي تتضمنها . قال تعالى :
« .. وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولاً » .

(الاسراء : ٣٤)

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، ان الله يعلم ما تفعلون » .
(النحل : ٩١)

ان صلاح النية واخلاص القلب لرب العالمين ، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت ، فيجعلانه عبادة متقبلة . وان خبث الطوية ، يهبط بالطاعات المحضة ، فيقلبها معاصي شائنة فلا ينال المرء منها شيئاً ، بعد التعب في أدائها ، الا الفشل والخسارة . قال رسول الله ﷺ :

« ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو انسان ، الا كان له به صدقة » .
(رواه مسلم)

والحق أن المرء ما دام قد أسلم لله وجهه وأخلص نيته ، فان حركاته وسكناته تحتسب خطوات الى مرضاة الله . وقد يعجز عن عمل الخير الذي يصبو اليه ، لقلته ماله أو لضعف صحته ، ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الاصلاح الى مراتب المصلحين ، والراغب في الجهاد الى مراتب المجاهدين ، لأن بعد همتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم .

حدث في احدى الغزوات أن تقدم الى رسول الله ﷺ رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار معه ، وأن يجودوا بأنفسهم في سبيل الله ،

غير أن الرسول لم يستطع تجنيدهم ، فعادوا وفى حلوقهم غصة لتخالفهم
عن الميدان ، وفيهم نزل قوله عز وجل :

« ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم
عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون »
(التوبة : ٩٢)

ولقد نوه النبي ﷺ بإيمان أولئك القوم واخلاصهم ، فقال
للجيش السائر :

« ان أقواما خلفنا بالمدينة ، ما سلكتنا شعباً ولا وادياً الا وهم
معنا ، حبسهم العذر » (٢٢) .
(رواه البخارى)

* * *

سابعاً - الصبر :

قال عليه الصلاة والسلام : « الصبر ضياء » .

(رواه مسلم)

إذا استحكمت الأزمات وتعقدت ، وترادفت الضوائق وطال
ليلها ، فالصبر وحده هو الذى يشع للمسلم النور العاصم من التخبط،
والهداية الواقية من القنوط . والصبر فضيلة يحتاج اليها المسلم فى
دينه ودنياه . ولا بد أن يبنى عليه آماله وأعماله . . فيجب أن يوطن
نفسه على احتمال المكروه دون ضجر وانتظار النتائج مهما بعدت ،
ومواجهة الأعباء مهما ثقلت ، بعقل متفتح وقلب لم تعلق به ريبة . كما
ينبغى أن يظل موفور الثقة بآدى الثبات ، ويبقى موقفاً بأن بوادر
الصفو لا بد آتية ، وأن من الحكمة ارتقابها فى سكون ويقين . وقد
أكد الله سبحانه أن ابتلاء الناس لا محيص عنه ، حتى يأخذوا أهبتهم
لنوازل المتوقعة ، فلا تذهلهم المفاجآت ، فقال تعالى :

« ولنبلونكم حتى نعلم الجاهدين منكم والصابرين ونبلوا

أخباركم » .

(محمد : ٣١)

ولا شك أن لقاء الأحداث ببصيرة مستتيرة واستعداد كامل أجدى على الانسان ، وأدنى الى احكام شئونه ، قال تعالى :

« ٠٠ وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور »

(آل عمران : ١٨٦)

والصبر يعتمد على حقيقتين أساسيتين : الأولى ، تتعلق بطبيعة الحياة الدنيا ٠٠ فان الله جعلها دار تمحيص وامتحان ، والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات ، يخرج فى امتحان ليدخل فى امتحان آخر قد يغير الأول معايرة تامة ٠ كذلك قد يكتب القدر على البعض صنوفا من الابتلاء ، ربما انتهت بمصارعهم ، وليس أمام الفرد الا أن يستقبل البلاء الوافد بالصبر ، وما دامت الحياة امتحانا فلنكرس جهودنا للنجاح فيه ٠

والحقيقة الثانية تتعلق بطبيعة الايمان ٠٠ فالايمان صلة بين الانسان وبين الخالق سبحانه ، واذا كانت صلات المودة والصداقة بين الناس لا يعتد بها ولا ينوه بشأنها الا اذا تأكدت على مر الأيام واختلاف الحوادث ، فكذلك الايمان ، لا بد أن تخضع صلته بالابتلاء الذى يمحصها ، فاما كشف عن طيبتها واما كشف عن زيفها ٠ قال الله تعالى :

« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ٠ ولقد

فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »

(العنكبوت : ٢ - ٣)

على هاتين الحقيقتين يقوم الصبر ، ومن أجلهما يطالب الدين به ٠ ولكن الانسان - ومن عادته تجاهل الحقائق - يدهش للصعاب اذا لاقته ، ويتبرم بالآلام اذا مسته ، ويقوم له من طبعه الهلوع ما يبغض له الصبر ويجعله فى حلقه كريبه المذاق ٠ فاذا أخرج الأمر ، أو نزلت به كارثة ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وحاول أن يخرج من حالته بأسرع من لمح البصر ٠ وأولى بالمسلم أن يدرّب نفسه على طول الانتظار (٢٣) ٠ قال تعالى :

« خلق الانسان من عجل ، سأوريكم آياتي فلا تستعجلون »

(الأنبياء : ٣٧)

وفى الحديث النبوى الكريم : « اذا أحب الله قوما ابتلاهم

فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط »

(رواه الترمذى)

والصبر أنواع : صبر على الطاعة ، وصبر على المعصية ، وصبر

على النوازل ..

فأما الصبر على الطاعة فأساسه أن أركان الاسلام تحتاج فى

القيام بها والمداومة عليها الى تحمل ومعاناة .. فالصلاة مثلا ، فريضة

متكررة يقوم بها المسلم فى مواعيد محددة ، ويقول الله فيها :

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها .. » (طه : ١٣٢)

« واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين »

(البقرة : ٤٥)

والتواصى بالصبر قرين التواصى بالحق ، وقد أقسم الله عز وجل

على أن فلاح البشر منوط بها :

« والعصر .. ان الانسان لثقى خسر .. الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

(سورة العصر)

والصبر عن المعاصى ، هو عنصر المقاومة للمغريات التى تنبت فى

طريق الناس وتبين لهم اقتتراف المآثم المحظورة . قال عليه الصلاة

والسلام : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات »

(رواه مسلم)

والادبار عن الشهوات لا يتأتى الا لصبور ، والصبر هنا أثر

اليقين الحاسم والاتجاه الحازم انى ما يرضى الله . قال تعالى :

« .. ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين »

(الأعراف : ١٢٦)

وهناك الصبر على ما يصيب المؤمن فى نفسه أو ماله أو أهله أو

مكانته . وتلك كلها أعراض متوقعة ، وهيات أن تخلو الحياة منها .

على أن المسلم إذا احتتمى بالله ولجأ إليه صمد أمام الأحداث • ولن تفارق المؤمن رحمة الله ما دام يتمسك بدينه فى الأزمت ولا يتزعزع يقينه لدى الشدائد • قال تعالى :

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين • الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » •

(البقرة : ١٥٥ - ١٥٧)

* * *

ثامنا - الحياء :

الحياء أمانة صادقة على طبيعة الانسان ، فهو يكشف عن قيمة ايمانه ومقدار أدبه • وعندما ترى الشخص يتخرج من فعل ما لا ينبغي ، أو ترى حمرة الخجل تصبغ وجهه اذا بدر منه ما لا يليق ، فاعلم أنه حى الضمير ، نقى المعدن ، طيب العنصر • واذا رأيت الشخص ضعيفا بليد الشعور ، ولا يبالي ما يأخذ أو يترك ، فهو امرؤ لا خير فيه ، وليس له من الحياء وازع يعصمه من اقتراف الآثام وارتكاب الخطايا •

وقد أوصى الاسلام بالحياء ، وجعل هذا الخلق السامى أبرز ما يتميز به المسلم من فضائل • قال رسول الله ﷺ : « ان لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء » • (رواه مالك)

وكان النبى ﷺ أرق الناس طبعاً ، وأنبلهم سيرة ، وأعمقهم شعوراً بالواجب ، ونفورا من الحرام • عن أبى سعيد الخدرى : « كان رسول الله أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان اذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه » • (متفق عليه)

قال رسول الله ﷺ : « ان الله عز وجل اذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء • فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا مقبىتا ممقتا (مبغضا) فاذا لم تلقه الا ممقتا نزعته منه الأمانة • فاذا نزعته منه الأمانة لم

تلقه الا خائنا مخونا ، نزعته منه الرحمة . فاذا نزعته منه الرحمة لم تلقه الا رجيماً ملعناً . فاذا لم تلقه الا رجيماً ملعناً نزعته منه ربقته (رباط) الاسلام » . (رواه ابن ماجه)

وهذا ترتيب دقيق فى وصفه لأمراض النفوس وتتبعه لأطوارها ، وكيف تسلم كل مرحلة خبيثة النبى أخرى أشد نكراً .. فان الشخص اذا مزق الحجاب عن وجهه ، ولم يتهيب على عمله حساباً ، ولم يخش فى سلوكه لومة لائم ، مد يد الأذى للناس ، وطغى على كل من يقع فى سلطانه . ومثل هذا الشخص الشرس لن يجد قلباً يعطف عليه ، بل انه يفرس الضغائن فى القلوب وينميها (٢٤) .

وللحياء مواضع يستحب فيها .. فالحياء فى الكلام يتطلب من المسلم أن يطهر فمه من الفحش ، وأن ينزه لسانه عن العيب ، فان من سوء الأدب أن تفلت الألفاظ البذيئة من المرء غير عابئ بمواقعها وآثارها .

قال رسول الله ﷺ : « الحياء من الايمان والايمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » . (رواه أحمد)

ومن الحياء فى الكلام أن يقتصد المسلم فى تحدثه بالمجالس ، فان بعض الناس لا يستحيون من امتلاك ناصية الحديث فى المحافل والاجتماعات ، فيملأون الأفئدة بالضجر من طول ما يتحدثون ، وقد كره الاسلام هذا الصنف من الناس . وسر هذا البغض ان أخبار هؤلاء المتشدين لا تخلو من المبالغة ، لعل خلقية كان الحياء علاجها الشافى لو أنهم استمسكوا به .

ومن الحياء أن يخجل الانسان من أن يؤثر عنه سوء ، وأن يحرص على بقاء سمعته نقيه من الشوائب بعيدة عن الاثاعات السيئة .. فان الرجل الذى يخجل من الظهور برذيلة لا تزال فيه بقية

من خير ، والرجل الذى يطلب الظهور بالفضيلة لا تزال فيه بقية من شر • وينبغي على الانسان أن يخجل من نفسه كما يخجل من الناس ، وإذا كره أن يراه الناس على نقيصة فليكره أن يرى نفسه على مثلها • ومن ثم كان لزاما على المسلم أن يبتعد عن الدنيا والنقائص ، ما ظهر منها وما بطن ، سواء خلا بنفسه أو برز الى الناس •

ان الحياء ملاك الخير ، وهو عنصر النبيل فى كل عمق يشوبه ، قال رسول الله ﷺ : « ما كان الفحش فى شىء الا شانه ، وما كان الحياء فى شىء الا زانه » • (رواه الترمذى)

ومن حياء الانسان مع الناس أن يعرف لأصحاب الحقوق منازلهم ، وأن يؤتى كل ذى فضل فضله • فللغلام مع من يكبرونه ، وللطالب مع من يعلمونه مسلك يقوم على التأدب والاحترام والتقديم ، فلا يسوغ أن يرفع فوقهم صوته ، ولا أن يسبقهم فى خطوه • وفى الحديث : « تواضعوا لمن تعلمون منه » • (رواه الطبرانى)

« اللهم لا يدركنى زمان لا يتبع فيه العظيم ، ولا يستحيا فيه الحليم » (رواه أحمد)

والحياء فى أسمى منازلها وأكرمها يكون من الله عز وجل ، فنحن نطمع من خيره وننتفخ فى جوه ، ونندرج على أرضه ، ونستظل بسمائه • ان حق الله على عباده عظيم ، ولو قدره حق قدره لسارعوا الى الخيرات يفعلونها من تلقاء أنفسهم ، ولباعدوا عن السيئات ، خجلا من مقابلة الخير بالجحود •

عن ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : « استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : انا نستحي من الله يا رسول الله — والحمد لله — قال : ليس ذلك • • الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى • ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى • فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » • (رواه الترمذى)

وهذه العظة تستوعب كثيرا من آداب الاسلام ومناهج الفضيلة .
فان على المسلم تنزيه لسانه أن يخوض فى باطل ، وبصره أن يرمق
عورة ، وأذنه أن تسترق سرا . وعليه أن يفظم بطنه عن الحرام ،
ويقنعها بالطيب الميسور . ثم عليه أن يصرف أوقاته فى العمل الصالح
ومرضاة الله ، وايثار ما لديه من ثواب ، فلا تستخفه نزوات العيش
ومتعه الخادعة . . فان فعل ذلك عن شعور ويقين بأن الله يرقبه ،
ونفور من اقتتاف تفريط فى جنب الله ، فقد استحميا من الله حق
الحياء .

والحياء بهذا الشمول هو الدين الخالص كله ، فاذا أطلق على
طائفة من الأعمال الجميلة فهو جزء من الايمان .

* * *

تاسعا - الأخاء :

ليست هناك دواعى معقولة تحمل الناس على أن يعيشوا أشتاتا
متناكرين ، بل ان الدواعى على المنطق الحق والعاطفة السليمة تعطف
البشر بعضهم على البعض الآخر ، وتمهد لهم مجتمعا متكافلا تسوده
المحبة ، ويمتد به الأمان على ظهر الأرض . والله عز وجل رد أسباب
الناس وأجناسهم الى أبوين اثنين ، ليجعل من هذه الرحم الماسة ملتقى
تتشابك عنده الصلات وتستوثق . قال تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنى وجعلناكم شعوباً
وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .
(الحجرات : ١٣)

فالتعارف - لا التنافر - أساس العلاقات بين البشر ، وكل رابطة
توطد هذا التعارف وتريح من طريقه العوائق فهي رابطة يجب تدعيمها ،
والانتفاع بخصائصها . وليس الاسلام مجرد رابطة تجمع بين عدد
من الناس فحسب ، ولكنه جملة الحقائق التى تقر الأوضاع الصحيحة
بين الناس وربهم ، ثم بين الناس أجمعين .

ان الأثرة - الأثانية - آفة الانسان ، اذا سيطرت
نزعتها على شخص محقت خيره ونمت شره ، وحصرته فى
نطاق ضيق لا يعرف فيه الا شخصه ، ويصبح متمركزا

حول ذاته ، ولا يهمله شيء من شئون الآخرين • وقد حارب الاسلام هذه الأثرة الظالمة بالأخوة العادلة ، وأفهم الانسان أن الحياة ليست له وحده ، وأنها لا تصلح به وحده • فليعلم أن هناك أناسا مثله ، ان ذكر حقه عليهم ومصلحته عندهم فليذكر حقوقهم عليه ومصلحتهم عنده • ان هذا التذكر يخلع المرء من أثرته ، ويحمله على الشعور بغيره حين يشعر بنفسه (٢٤) •

ومن حق أخيك عليك أن تكره ضرره ، وأن تبادر الى دفعه عنه ، فان مسه أذى شاركته الألم . وأحسست معه بالحزن • قال رسول الله ﷺ : « مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » (رواه البخارى)

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه • من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة • ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » • (رواه البخارى ومسلم)

« ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى » • (رواه مسلم)

« من استعاذ منكم بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أن قد كافأتموه » • (رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائى)

« حق الجار ان مرض عدته ، وان مات شيعته ، وان افتقر أقرضته ، وان أعوز سترته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيتها ، ولا ترفع بناءك فوق بناءه فتسد عليه الريح ، ولا تؤذيه بريح قدرك الا أن تغرف له منها » • (رواه الطبرانى)

« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »
(متفق عليه)

ومن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن اخوانه ظهير له فى السراء والضراء وأنه لا يتحرك وحده فى خضم الحياة ، بل ان قوى المؤمنين تسانده وتشد من أزره فى مسيرته • ومن ثم كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة ، فهى نعمة التجانس الروحى والمادى معا • قال تعالى :

« • • واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا • • »
(آل عمران : ١٠٣)

ورهب الاسلام من يلعب بهم الشيطان ويغريهم بالتطاول على اخوانهم طلبا للاستعلاء فى الأرض ، فبين أن هؤلاء المتطاولين سوف يتضاءلون يوم القيامة ، وعلى قدر ما انتفخوا ينكمشون حتى يصيروا هباء • وفى الحديث : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور رجال يغشاهم الذل من كل مكان » • (رواه الترمذى)
وقال تعالى :

« وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » •
(غافر : ٦٠)
« سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض • • »
(الأعراف : ١٤٦)

« قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين » •
(الأعراف : ١٣)
وقال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : العز ازارى ، والكبرياء ردائى ، فمن ينازعنى عذبتة » • (رواه مسلم)

ومما يميزق أواصر الأخوة التهكم والازدراء والسخرية من الآخرين • ان هذه الأخلاق تنشأ عن جهالة وغفلة • فان من حق الضعيف أن يجد المساندة دون النيل منه ، ومن حق الحائر المقلق المهوف أن يرشد الى الطريق القويم لا التهكم عليه • واذا وجدت

بشخص عاهة أو عرضت له سيئة فأخر ما يتوقع من أخيه المسلم أن يجعل ذلك مثار تندره واستهزائه • قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن » •

(الحجرات : ١١)

ومما اتخذته الاسلام لصيانة الأخوة ومحو الفروق المصطنعة ، تأكيد التكافؤ في الدم والتساوي في الحق ، واشعار العامة والخاصة بأن التفاخر بالأنساب باطل • فلا يفضل أحد أخاه في الاسلام الا بالتقوى والعمل الصالح • قال رسول الله ﷺ :

« اذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى : ألا انى جعلت نسبا ، وجعلتم نسبا • فجعلت أكرمكم أتقاكم ، فأبيتم الا أن تقولوا : فلان بن فلان • فالليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم » • (رواه البيهقي)

وهذا تأكيد لقوله تعالى :

« فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون • فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون » •

(المؤمنون : ١٠١ - ١٠٣)

* * *

عاشرا - الاتحاد والتعاون :

تقوم شرائع الاسلام وآدابه على اعتبار الفرد جزءا لا يتجزأ ولا ينفصم من كيان الأمة ، وعضوا موصولا بجسمها لا ينفك عنها ، فهو - طوعا أو كرها - يأخذ نصيبه مما يتوزع على الجسم كله من غذاء ونمو وشعور • وقد جاء الخطاب الالهي مقرا هذا الوضع ، فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهي ، انما تناول الجماعة كلها بالتأديب والارشاد • قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون • وجاهدوا في الله حق جهاده • »

(الحج : ٧٧ ، ٧٨)

فاذا وقف المسلم بين يدي ربه ليتضرع اليه ويناجيه ، لم تجر
العبادة على لسانه كعبد منفصل عن اخوانه ، بل كطرف من مجموع
متسق مرتبط يقول : « اياك نعبد و اياك نستعين » •

(الفاتحة : ٥)

ثم يسأل الله من خيره وهداه ، فلا يختص نفسه بالدعاء ، بل
يطلب رحمة الله له ولغيره ، فيقول :

« اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين انعمت عليهم » •

(الفاتحة : ٦ - ٧)

ان الله عز وجل لم يخلق الناس لينقسموا ويختلفوا •• لقد شرع
لهم ديناً واحداً ، وأرسل أنبياءه تترى ليقودوا الناس كافة فى طريق
واحد ، وحرّم عليهم من الأزل أن يصدعوا الدين وأن يتفرقوا حوله •

بيد أن الناس فى غمرة الحياة واتباع الشهوات تناسوا هذه
الموصية الكريمة ، وتنكروا لهذا التراث العظيم ، فانقسم الناس
أحزاباً ، وصار كل حزب يكد للآخر ويتربص به (٢٦) • قال تعالى :

« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، انى بما
تعملون عليم • وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون • فتقطعوا
أمرهم بينهم زبوا ، كل حزب بما لديهم فرحون • فذرهم فى غمرتهم
حتى حين » • (المؤمنون : ٥١ - ٥٤)

وبين الله عز وجل أن اتباع الهوى ومتابعة البغى هو سر هذا
الافتراق الواسع •• والحق أن العلم عندما ينفصل عن الخلق ،
ويفارقه الأخلص ، يمسى وبالا على أهله وعلى الناس • وقد كان
رسول الله ﷺ يستعيز بالله من علم لا ينفع •• وقال تعالى :

« وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم •• »

(الشورى : ١٤)

فالنظر الى ضراوة العلم عندما يفقد الاخلاص لله والرفق بالعباد كيف يثير الفرقة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل .. أن اختلاف الأفهام وتضارب الآراء ليس بمستغرب فى الحياة ، ولكن ليس هذا سبب التقاطع والشقاق . انما يعود سبب الشقاق الى اسهام عوامل أخرى وانضمامها ، تستغل تباين الأفطار والآراء للتفتيس عن أهواء باطنة . ومن ثم ينقلب البحث عن الحقيقة الى ضرب من العناد لاصلة له بالعلم البتة . ولما كان هذا الاختلاف المريب مفسدا لدين الله ودنيا الناس فقد اعتبره الاسلام انفصالا عنه . قال تعالى فى كتابه الكريم محذرا المسلمين من الخلاف فى الدين والتفرق فى فهمه شيعا متناحرة كما فعل الاولون :

« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم . يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كتمتم تكفرون . وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » .

(آل عمران : ١٠٥ - ١٠٧)

ان ائتلاف القلوب والمشاعر ، واتحاد الغايات والمناهج ، من أوضح تعاليم الاسلام ، وألزم صفات المسلمين المخلصين . ولا ريب أن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة ، ودوام دولتها ، ونجاح رسالتها . ولئن كانت كلمة التوحيد باب الاسلام فان توحيد الكلمة سر البقاء فيه ، والابقاء على رسالته ، والضمان الأول للقاء الله سبحانه وتعالى بوجه مشرق وصفحة نقية .

ولكى يمتزج المسلم بالمجتمع الذى يحيا فيه شرع الله الجماعة للصلوات اليومية و رغب فى حضورها وتكثير الخطو اليها ، ثم ألزم أهل الحى أو العشيرة أن يلتقوا كل أسبوع لصلاة الجمعة . وبعد هذا دعا الى اجتماع أكبر فى صلاة العيد جعل مكانه الأرض الفضساء خارج البلدة ، وأمر الرجال والنساء بالمشاركة فيه اتماما للنفع وزيادة فى الخير .. ثم أذن الى حشد أضخم يضم الشتات من المشرق الى المغرب . ففرض الحج ، وجعل له مكانا معلوما وزمانا محدودا ، حتى يجعل اللقاء بين أجناس المسلمين أمرا محتوما .

وكان رسول الله ﷺ شديد التحذير من عواقب الاعتزال والفرقة ،
والسلام : « الشيطان يهيم بالواحد والاثنين فاذا كانوا ثلاثة لم يهيم
وكان فى حله وترحاله يوصى بالتجمع والاتحاد ، قال عليه الصلاة
والسلام : « الشيطان يهيم بالواحد والاثنين فاذا كانوا ثلاثة لم يهيم
بهم » • (رواه مالك)

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » •
(رواه البخارى ومسلم)

وقال تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله،
اولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » • (التوبة : ٧١)

ان الناس اذا لم يجمعهم الحق شعبهم وشقتهم الباطل ، واذا
لم توحدهم عبادة الرحمن مزقتهم عبادة الشيطان ، واذا لم يستهوههم
نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا • لذلك كان التطنح المر من
خصائص الجاهلية المظلمة وصفة من لا ايمان لهم • قال رسول الله
ﷺ : « لا ترجعوا بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض » •
(رواه الترمذى)

ان الشقاق يضعف الأمم القوية ، ويميت الأمم الضعيفة • ولذلك
جعل الله أول عظة للمسلمين — بعد انتصارهم فى غزوة « بدر » —
أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا أمرهم • ولما تطلعت النفوس للغنائم،
تشتبهى حظها وتتنافس على اقتسامها نزل قوله تعالى :

« يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله
وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين » •
(الأنفال : ١)

ثم أفهمهم أن الاتحاد فى العمل لله هو طريق النصر المحقق .
قال تعالى :

« وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »
(الأنفال : ٤٦)

وحذرهم من أن يسلكوا فى التكالب على الدنيا مسلك الذين
لا يرجون عند الله ثوابا ، فقال تعالى :

« ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس
ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط »
(الأنفال : ٤٧)

ثم تلقى المسلمون فى « أحد » لطمة موجعة أفقدتهم عددا
لا يستهان به من أبطالهم ، وردتهم الى المدينة وهم يعاننون الأمرين من
خزى الهزيمة وشماتة الكافرين . ولم ذلك ؟ مع أن ايمانهم لم يتزعزع
.. ذلك لأنهم تنازعوا وانقسموا وعصوا الله ورسوله . قال تعالى :

« ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسبونهم باذنه ، حتى اذا فشلتم
وتنازعتهم فى الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد
الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم .. »
(آل عمران : ١٥٢)

وكان ذلك يعود الى انحلال عرى المسلمين وتفرقتهم .

● الخلاصة :

يتلخص هذا الفصل فى النقاط الآتية :

١ - يشمل النمو النفسى تلك المراحل التى يمر بها الفرد وتنمو فيها
قدراته وتستكمل خلالها شخصيته ، فى اطار صحته النفسية . وتبدو
مظاهر النمو النفسى فى النواحي الآتية : التكيف ، اشباع الحاجات
الأساسية ، وتحقيق الشخصية السوية .

٢ - تتميز الشخصية السوية بالميزات السلوكية الآتية : القدرة
على التحكم فى الذات ، تحمل المسئولية وتقديرها ، التعاون ، القدرة
على الثقة المتبادلة ، الانسانية ، الديمقراطية ، مستوى الطموح .
(٩ - الشخصية السوية)

٣ - هناك العديد من الآراء التي حددت معالم الشخصية السوية وخصائصها تتلخص فى : تفتح الفرد لخبراته ، والقناعة الذاتية ، والوعى بالعلاقات مع الآخرين ، والاتجاه المنتج ، والعلاقة بالذات الحقيقية ، والشعور الاجتماعى أى التوحد مع البشر ، والشخص المحقق لذاته ، والقدرة على الخلق والابداع •

٤ - تميل الكائنات الحية الى تغيير نشاطها استجابة لما يحدث فى بيئتها من تغير • وعندما يطرأ تغير على البيئة فان الكائن يعدل سلوكه وفقا لهذا التغير ويبحث عن وسائل جديدة لاشباع حاجاته •

٥ - تتلخص المؤشرات التى تشير الى التوافق والصحة النفسية للأفراد فى الآتى :

مدى تقبل الفرد للحقائق المتعلقة بقدراته وامكانياته ، مدى استمتاع الفرد بعلاقاته الاجتماعية ، مدى نجاح الفرد فى عمله ورضاه عنه ، مدى كفاءة الفرد فى مواجهة مشكلات الحياة اليومية ، تنوع نشاط الفرد وشموله ، اشباع الفرد لدوافعه وحاجاته ، ثبات اتجاهات الفرد ، وتصدى الفرد لمسئولية أفعاله وقراراته •

٦ - ان دراسة الشخصية تدعونا الى الاهتمام بموضوع الأخلاق والدين وعلاقتها بالشخصية • ان الأخلاق فى الاسلام طرقت جميع جوانب الحياة الانسانية سواء أكانت روحية أو جسمية ، دينية أو دنيوية ، عقلية أو انفعالية ، فردية أو اجتماعية • ويحث القرآن الكريم على التحلى بالأخلاق الفاضلة واتباع الأسلوب القويم ، والابتعاد عن الأذى والشر وسوء الخلق • ومن أهم المبادئ والقيم الأخلاقية التى يحث عليها الاسلام ما يأتى : أدب الحديث ، والتسامح والرحمة ، والحلم والصفح ، والعدالة فى الأقوال والأفعال ، والصدق والأمانة ، والوفاء والاخلاص ، والصبر ، والحياء ، والاتحاد والتعاون •